الحَدَاثَةُ وَمَا بَعدَ الحَدَاثَةِ

■ لينا السقر[1]

ملخّص

يستعرض هذا الكتاب التحوُّلات الفكرية المعاصرة في ظلِّ الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، وتأثيرات العَولمة على النظام العالمي، وذلك من خلال رؤية (د. عبد الوهاب المسيري) و(د. فتحي التريكي). يركِّز (المسيري) على التحوُّل الفكري في الحضارة الغربية؛ حيث تراجعت الثقة في العقل والحقيقة الثابتة لصالح «المادية السائلة» التي تعيد صياغة الإنسان، بوصفه كائنًا ماديًّا تحرِّكه اللذَّة والظروف، بدلًا من كونه كائنًا عقلانيًّا. في المقابل، ينتقد (التريكي) النظام العالمي المعاصر القائم على الهيمنة وعدم المساواة، مشيراً إلى أنَّ العَولمة أدَّت إلى الإقصاء والفقر والنزاعات. ويرفض (التريكي) أطروحة «صدام الحضارات»، ومؤكِّدًا على أنَّ الأزمة تكمن في آليَّات تنظيم العالم لا في صراع الثقافات.

يتناول الكتاب -أيضًا- إشكالات الهُوية في ظلِّ العَولمة، موضِّحًا أنَّ التحدِّي الحقيقي يكمن في تحقيق العيش المشترك. ويخلص إلى أنَّ العالم يواجه أزمة قِيم ونظام عالمي عميقة، تتطلَّب تجاوز الهيمنة، وبناء فهم جديد يرتكز على الحوار والاحترام المتبادل بين الشعوب والثقافات.

الكلمات المفتاحية: الحداثة، ما بعد الحداثة، (التريكي)، (المسيري)، النظام العالمي، العَولمة، الميتافيزيقيا المادية، العيش المشترك.

١ - مترجمة، من سوريا.

Modernism, Postmodernism

■ Mrs. Lina al-Saqr[1]

Abstract

This book examines contemporary intellectual transformations associated with the transition from modernism to postmodernism and explores the impact of globalization on the global order through the perspectives of Dr. Abdel Wahab el-Messiri and Dr. Fathi Triki. El-Messiri focuses on the intellectual transformation within Western civilization, arguing that confidence in reason and objective truth has declined in favor of what he describes as "liquid materialism," which redefines the human being as a material entity driven by pleasure and circumstances rather than as a rational and moral agent. In contrast, Triki reviews the contemporary global order as one based on domination and inequality, maintaining that globalization has contributed to exclusion, poverty, and conflict. He rejects the "clash of civilizations" thesis, arguing instead that the real crisis lies in the mechanisms by which the world is organized rather than in conflicts between cultures.

The book also addresses questions of identity in the age of globalization, emphasizing that the central challenge is achieving peaceful coexistence among diverse peoples and cultures. It concludes that the world is facing a profound crisis of values and global governance, one that requires moving beyond systems of domination and developing a new framework based on dialogue, mutual respect, and cooperation among civilizations and societies.

Keywords:

Modernism, Postmodernism, Triki, El-Messiri, World Order, Globalization, Materialist Metaphysics, Coexistence.

1 -Syrian Translator.

بطاقة الكتاب

عنوان الكتاب: الحداثة وما بعد الحداثة.

مؤلّفا الكتاب: د. عبد الوهاب المسيري، د. فتحي التريكي.

دار النشر: دار الفكر.

سنة النشر: عام ٢٠٠٣م.

عدد الصفحات: ٣٧١.

اللغة الأصلية للكتاب: اللغة العربية.

مقدّمة

يشـهد الفكر المعاصر تحوُّلاتٍ جوهرية أعادت طرح تسـاؤلاتٍ مركزية عن ماهية الإنسان، وطبيعة المعرفة، ومنظومة القِيم؛ وذلك في ظلّ الانتقال من مشروع الحداثة القائم على العقلانية والتقدُّم، إلى سـياقات ما بعد الحداثة التي اتَّسـمت بالنزعة النسبية وتفكيك الرؤى الكلية. وقد توازى هذا التحوُّل مع صعود العَولمة بوصفها إطارًا جديدًا لإعادة هيكلة العالم اقتصاديًّا وسياسيًّا وثقافيًّا، وما اسـتتبع ذلك من إشـكالاتٍ معقَّدة تتعلَّق بالعدالـة، والهُوية، وتفاعلات الثقافات. وفي هـذا الإطار، يقدِّم هذا الكتاب قراءة نقدية لمفهومي الحداثة وما بعد الحداثة عبر مقاربتين فكريَّتين بارزتين لكلٍّ من (د. عبد الوهاب المسيري) و(د. فتحي التريكي)؛ إذ يسعى كلٌّ منهما إلى تفكيك البنى الفكرية التي صاغت العقل الغربي الحديث، وكشـف التناقضات الكامنة في مشروعه، سواء على المستوى المعرفي أم على مستوى تنظيم العالم. فبينما يركِّز (المسيري) على

تحليل التحوُّلات الفلسـفية والمعرفية التي أفضت إلى تآكل المركزية الإنسانية، ينصبُّ اهتمام (التريكي) على نقد النظام العالمي المعاصر، وآليَّات العَولمة، وما نتج عنها من تفاوتٍ وإقصاء.

ويهـدف هذا العرض إلى تقديم قراءةٍ مركَّزة لمضامين الكتاب، عبر تسـليط الضوء على أبرز المفاهيم والإشـكالات التي يطرحها، واسـتيعاب التحوُّلات الفكرية التـي ميَّزت الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، وما ترتَّب عليها من إعادة صياغة لمفاهيم العقل والإنسـان والهُوية في ظلّ السياق العالمي الراهن.

عرض الكتاب:

يسـتعرض الكتاب إشكالية الحداثة وما بعد الحداثة من خلال مقاربتين نقديَّتين لكلٍّ من (د. عبد الوهاب المسيري) و(د. فتحي التريكي)، ساعيًا لتحليل التحوُّلات الفكرية والمعرفية التي شهدها العالم الغربي، وانعكاساتها على النظام العالمي المعاصر في مجالات المعرفة، والقيم، والهويـة، والعلاقات الدَّوليـة. في البحث الأول، يقدِّم (د. عبد الوهاب المسـيري) قراءة نقدية لتطوّر الفكر الغربي، مسـتندًا إلى تجربته الشـخصية في الولايات المتحدة؛ حيث رصد تحوُّلاً في الاهتمام الفكري من العقلانية والاسـتنارة إلى قضايا اللا وعي، والعبث، والجسـد، واللذَّة، وهـو ما يشي بتفكُّك النموذج الحداثي. أمَّا البحـث الثاني، فيتناول فيه (د. فتحي التريكي) نقد النظام العالمي في ظلِّ العولمة، معتـبراً إيَّاه نتاجًا لانهيار قيم الحداثة؛ حيث طغى منطق الربح والهيمنة وفوضى السـوق على القيم الإنسـانية الكونية. ويرى (التريـكي) أنَّ العقلانية الغربية، رغم إسـهاماتها العلمية، أسَّست لمنطق الإقصاء والعنف الذي قسّـم البشرية إلى مركز مهيمن وأطراف مهمَّشـة، مستشهدًا بأحداث تاريخية كحرب الخليج، والحصار على العراق، وأحداث ١١ سـبتمبر، ومجازر رواندا والبوسـنة، بوصفها دلالات على اختلال العدالة الدَّولية. ويتوسَّع في مناقشـة قضايا مترابطة ضمن خمسـة فصول، تشـمل الهُوية، والعلاقة بين الحداثة وما بعد الحداثة، والعَولمة والثقافة، وإشكالية العيش المشترك. يحلِّل الهُوية عنصر متأرجح بين الانفتاح والانغـلاق، ودورها في مقاومة العولمـة أو التكيف معها، كما يبحث أثـر العولمة على الثقافة وإمكانية بناء نمط إنسـاني مشترك يحترم الخصوصيات. ويختتم الكتاب بقسم للتعقيبات يثري

النقاش في هذه الإشكاليَّات الفكرية.

وخلاصة الكتاب أنَّ التحوُّل من الحداثة إلى ما بعد الحداثة ليس مجرَّد تغيُّر معرفي، بل هو انعكاس لأزمة شاملة في القِيم والنظام العالمي، وأنَّ تجاوز هذه الأزمة يستلزم إعادة بناء عقلانية أكثر إنسانية وتعدُّدية، ترتكز على الحوار والاعتراف المتبادل بين الثقافات والهُويَّات.

القسم الأوَّل: الأبحاث

البحث الأوَّل: الحداثة وما بعد الحداثة (د. عبد الوهاب المسيري)

أثناء دراسته في الولايات المتحدة واحتكاكه بوسطها الثقافي، التقى (الدكتور عبد الوهاب المسيري) بنخبة من المثقَّفين الأمريكيين. يوضِّح المسيري أنَّه كان آنذاك متأثِّر بالفكر العقلاني والاستناري الذي يضع الإنسان في مركز الكون، ومؤمنًا بقدرته على تغيير واقعه. لكنَّه لاحظ ميل التيار الفكري الغربي السائد حينها نحو موضوعات مثل اللا وعي، والعبث، والاغتراب، والجسد، واللذَّة. وقوبلت أفكاره العقلانية بتحفُّظ أو سخرية من قِبل هؤلاء المثقَّفين. كما يبرز تأثُّره بكتاب (سوزان سونتاغ-Susan Sontag)، الذي اعتبره مؤشِّرًا على تحوُّلات فكرية عميقة نحو ما بعد الحداثة. قادته هذه التجربة إلى إعادة النظر في صورة الحضارة الغربية؛ حيث بدأ يلمس تناقضًا بين خطاب التقدُّم والسعادة، وبين النقد الثقافي الذي يكشف عن التفكُّك والتشيُّؤ، ما دفعه لاحقًا لتطوير مفاهيم تفسيرية، مثل "المادية الصلبة" و"المادية السائلة" لفهم هذا التحوُّل. فالتحوُّل من "المادِّية الصلبة" إلى "المادِّية السائلة" انتقالاً داخل النموذج المادّي المهُيمِن في الحضارة الغربية؛ إذ تحوَّل من رؤية عقلانية ترى الواقع المادّي بنيةً سببية ثابتة يدركها العقل بصفتها كُلًّا متماسكًا، إلى رؤية تفكيكية تفتقر إلى اليقين وتُضعف الإيمان بالكُليات والثوابت. ارتبطت "المادِّية الصلبة" بعصر الاستنارة الذي منح العقل مركزية معرفية وخُلُقية، مفترضًا إمكانية فهم العالم فهمًا تامًّا عبر قوانين طبيعية ثابتة، وهو ما أنتج أنساقًا معرفية بدت مستقرّة، لارتكازها على مفاهيم مطلقة، كالعقل، والطبيعة البشرية، والقانون العلمي. لكن هذا البناء اصطدم بتناقض داخلي؛ فإرجاع العقل إلى المادَّة يُقوّض قدرته على تجاوز الجزئيات أو صياغة معايير ثابتة، كما أنَّ تطوّر العلوم الحديثة، كالنسبية وميكانيكا الكم، عزَّز فكرة عدم

الاستقرار واللا يقين. ومن هنا، ظهرت "المادِّية السائلة" بوصفها مرحلة تتخلَّى تدريجيًّا عن فكرة الكلّ المتماسك والمعنى الثابت، لتعيد تفسير الإنسان والواقع ضمن صيرورة مفتوحة من التحوُّل والصراع، ما أدَّى إلى تفكيك مركزية الإنسان، وتقويض الأسس الميتافيزيقية للأخلاق والمعرفة، وإحلال النسبية محلّ اليقينيات السابقة.

تواصل «المادِّية الجديدة» (السائلة) نقدها الجذري لأُسس «المادِّية القديمة» (الصلبة)؛ إذ ترى أنَّ ما عُدَّ في عصر التنوير عقلانيةً علميةً قادرةً على بناء أنساق معرفية وخُلُقية ثابتة، ليس في جوهره إلا امتداد لميتافيزيقا مضمرة، تضفي على العقل والطبيعة والإنسان طابعًا مطلقًا لا ينسجم مع المقدّمات المادّية ذاتها. ومن هذا المنظار، يُعاد تفسير المركزية الإنسانية بوصفها وَهْمًا إنسانيًّا نابعًا من رغبة نفسية في تثبيت المعنى داخل عالم دائم التغيُّر. في حين تكشف التطوُّرات العلمية والفلسفية الحديثة، من النسبية إلى ميكانيكا الكم ونظريات عدم التحديد، عن كون الواقع بنية سيّالة تستعصي على الإحاطة النهائية أو التأسيس على ثوابت.

وعليه، تنتقل هذه الرؤية إلى ما يسمِّيه بعض المنظِّرين «الاستنارة المظلمة»؛ حيث يُفكَّك مفهوم الإنسان بوصفه كائنًا طبيعيًّا خاضعًا بالكامل للحتميات المادِّية، دون أي امتياز أنطولوجي أو معرفي، ليُرَدَّ إلى مجرَّد شبكة من الدوافع البيولوجية والاقتصادية، وهو ما ينسف مفاهيم الحُرية، والمعنى، والغاية. وفي هذا السياق، يغدو نقد «الميتافيزيقا المادِّية» نقدًا مزدوجًا؛ فهي من جهة ترفض الإلهيَّات التقليدية، ومن جهة أخرى تقوّض ادّعاء المادية الصلبة بامتلاك ثوابت عقلية أو خُلُقية. ومع فلاسفة مثل (فريدريش نيتشه-Friedrich Nietzsche)، تتبلور هذه النزعة في إعلان «موت الإله» بوصفه انهيارًا لكلّ مرجع متعالٍ أو كُلِّي، بما في ذلك الإنسان نفسه بوصفه مركزَ الكون، لتتحوَّل الحقيقة إلى صيرورة من العلاقات المتغيِّرة بلا أساس نهائي، وتغدو العدمية هي الأفق الأخير، لانكشاف الفكر الغربي بعد انهيار فكرة الكلّ، والثبات، والمعنى.

يعدّ الكاتب اللغة بنية أساس لحفظ الخبرة الإنسانية والوعي التاريخي. ومع تطوُّر فلسفة اللغة، تراجعت فكرة الكُلِّيات؛ حيث قدّم (فرديناند دي سوسير-Ferdinand de Saussure) تصوُّرًا بنيويًّا يرى فيه اللغة نظامًا من العلاقات الاعتباطية المستقلّة عن الواقع، لا مرآة له. هذا التحوُّل، رغم أهمِّيته في فهم اللغة باعتبارها نسقًا، مهَّد الطريق لنزعات تفكيكية شكَّكت في

استقرار المعنى ومرجعيَّته. وبذلك انتقل الفكر الغربي من رؤية اللغة باعتبارها أداة تواصل ثابتة إلى اعتبارها صيرورة سيولة دائمة، ما يعكس تحوُّلًا من المادية الصلبة إلى المادية السائلة؛ حيث يتحدَّد المعنى عبر الاختلاف المستمرّ بدلًا من الإحالة المباشرة إلى الواقع.

يستعرض (المسيري) أيضًا تطوُّر الاستعارات المؤسِّسة للرؤية الكونية في الفكر الغربي، واصفًا إيَّاها بانعكاس لتحوُّل جذري من المادِّية الصلبة إلى المادِّية السائلة. ففي البداية، هيمنت الاستعارات الميكانيكية التي صورّت العالم بوصفه آلة تخضع لقوانين ثابتة، على غرار نموذج الساعة النيوتونية. تلا ذلك بروز الاستعارة العضوية مع (تشارلز داروين-Charles Darwin) و(هربرت سبنسر-Herbert Spencer)؛ حيث أُدرك المجتمع والطبيعة بوصفهما كائنين حيَّين محكومين بقوانين التطوُّر والصراع، التي تجمع بين التنظيم الداخلي والحتمية الطبيعية. ومع مرور الوقت، اتَّخذت هذه النماذج طابعًا اختزاليًّا؛ إذ جرى ردّ الإنسان إلى جسده أوَّلًا، ثمَّ إلى دافع الجنس بوصفه القاسم المشترك الأعمق بين الكائنات، لا سيِّما في سياق ما بعد الحداثة الذي جعل من اللذَّة والرغبة مركزًا للتفسير الإنساني. وبذلك، أُعيد تعريف الإنسان من كائن عقلاني أو اقتصادي إلى كائن غرائزي تحرِّكه اللذَّة، في تحوُّلٍ يباين تركيز الحداثة على المنفعة والتراكم المادّي.

يستعرض (المسيري) أيضًا مفهوم "ما بعد الحداثة" بوصفه تيَّارًا فلسفيًّا برز في أعقاب البنيوية، وارتبط بشكل وثيق بمنهجية "التفكيكية" التي أسَّسها (جاك دريدا-Jacques Derrida). وعلى الرغم من شيوع المصطلح وتداوله في حقول معرفية متنوِّعة، كالعمارة، والنقد الأدبي، والعلوم الاجتماعية، لكن دلالته تتباين تبعًا للسياق الذي يُستخدم فيه. يرتكز جوهر ما بعد الحداثة على نقض الركائز التي قامت عليها الفلسفة الغربية التقليدية، والتي طالما سعت للبحث عن مركز ثابت ووحدة كلية للحقيقة والمعرفة؛ إذ تتبنَّى ما بعد الحداثة رؤية مغايرة تقوم على التعدُّدية، والتشتُّت، واللا يقين، وغياب المركز. ومن أبرز مرتكزات هذا التيَّار: الأنطولوجيا (الوجود)، والمعرفة، والمعنى، والأخلاق، والتاريخ.

وفي ما يخص فلسفة (جاك دريدا)، يركِّز ضمن النصّ على مفهوم "التفكيك" الذي يرى أنَّ النصوص لا تحمل معاني ثابتة، بل هي فضاءات مفتوحة لتأويلات لا حصر لها بتعدُّد قرّائها، مؤكِّدًا أنَّه لا وجود لحقيقة نهائية أو "حضور" أصيل خلف النصّ. فالتفكيك يعمل على زعزعة

المركزية والمعنى الثابت، كاشفًا عن التعدُّد والاختلاف الكامن في بنية الفكر. ويخلص إلى أنَّ ما بعد الحداثة تضع العالم في إطار من السيولة واللا يقين؛ حيث تتَّسم المعرفة بالنسبية المستمرَّة، وتتفكَّك فيها المعاني والهُويَّات، ما يبرز الصراع الفكري بين ثنائية "الثبات" (المركز، والحقيقة، والجوهر) و"السيولة" (التعدُّد، والاختلاف، واللا تحدُّد).

يتنـاول الكاتب العلاقة بين ما بعد الحداثـة والصهيونية والنظام العالمي الجديد، ويطرح فكرة وجـود تماثل بنيوي بينها، يقـوم على التفكيك والـلا مركزية، وغياب المعنـى الثابت. ويرى أنَّ التفكيك ليـس ظاهرة يهودية خالصة، بل هو نتاج للرؤية المادِّية الغربية الحديثة، مع قابلية داخل بعـض التراث اليهـودي لتقبّل هذه الأفكار، بينما تُعَـدّ الصهيونية في هذا التصـوُّر امتدادًا للرؤية الإمبريالية الغربية التي تسـتخدم الدين بوصفه غطاءً أيديولوجيًّا. كما يشير إلى أنَّ الصهيونية تقوم بتفكيـك الهُويات الثابتة لكلّ مـن اليهودي والعربي عبر إعادة تشـكيلهما ضمن هُويات متحوِّلة ونسبية، ما يعكس سقوط العلاقة المسـتقرّة بين الدال والمدلول، وتحويل الهُوية إلى عنصر قابل للتبدُّل. ويعرض أيضًا أطروحات مثل "نهاية التاريخ" لـ (فرانسيس فوكوياما-Francis Fukuyama) و"صدام الحضارات" لـ (صامويل هنتنغتـون-Samuel Huntington)، ليبيّن أنَّها رغم اختلافها الظاهري لكنَّها تشترك في رؤية تفكيكية أو ثنائية تختزل العالم في أنماط كبرى، أو صراعات حتمية. وفي المقابـل، ترى ما بعد الحداثة أنَّ التاريـخ بلا غاية نهائية، وأنَّ الحقيقة والمعنى يتفكَّكان إلى روايـات متعدِّدة جزئيـة، ما يؤدِّي إلى غياب المركز وذوبان المرجعيَّـات. ويخلص إلى أنَّ ما بعد الحداثة ليسـت مجرَّد نظرية فكرية، بل رؤية شـاملة للكون والإنسان، تُستثمر ضمن سياق النظام العالمي الجديد الذي يعيد إنتاج الهيمنة عبر التفكيك والإغواء بدل السيطرة المباشرة.

البحث الثاني: الحداثة وما بعد الحداثة، (د. فتحي التريكي)

الفصل الأول: الحدث

يقـدِّم (الدكتور فتحي التريكي) نقدًا لاذعًا للنظـام العالمي المعاصر في ظلّ العَولمة، معتبراً إيّاه نتاجًا لانهيار قِيم الحداثة، وحلول منطق الربح، والهيمنة، وفوضى السـوق محلّه في مرحلة ما بعد الحداثة. ويرى أنَّ العقلانية الغربية لم تكتفِ بتطوير العلم والتكنولوجيا، بل أرست نظامًا

قائمًـا على الإقصـاء والعنف الرمزي والمادي، ما قسَّـم البشرية إلى فئتين: فئـة مُهيمنة تحظى بالحماية، وأخرى مهمَّشـة تعاني من الفقر والإقصاء. يستدل (التريكي) بأحداث تاريخية بارزة، كحرب الخليج، والحصار على العراق، وأحداث ١١ سبتمبر، ومجازر رواندا والبوسنة، للتدليل على اختلال موازين العدالة الدَّولية، وتورُّط بعض السياسـات الغربية المباشرة أو غير المباشرة في تأجيج العنف أو تبريره.

كما يرفض مقولة «صدام الحضارات» بوصفها تفسـيراً تبسـيطيًا للصراعـات الراهنة، مؤكِّدًا عـلى أنَّ العنـف نابع من بنية النظـام العالمي وآليَّات العَولمة التي تسـعى لفـرض نمط موحَّد اقتصاديًّا وسياسـيًّا وثقافيًّا، ما يولِّد ردود فعل مقاومة قد تتَّخذ طابعًا عنيفًا. ويشـير ضمن النصّ إلى أنَّ العَولمة عزَّزت النزعة الفردية والمادية، وأضعفت الروابط الاجتماعية والقِيم الإنسانية، في ظلّ احتكار القوى الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتَّحدة، لصياغة معايير الحقوق، والحُرِّية، والعدالة عالميًّا. وفي المقابل، يدعو إلى مراجعة مفاهيم العقلانية والهُوية والثقافة، وتبنِّي «عقل تواصـلي» قائم على الحـوار والاعتراف بالتعدُّدية، عـلى غرار أطروحات الفيلسـوف (يورغن هابرماس-Jürgen Habermas)، مع التشديد على ضرورة إرساء قواعد للتعايش الكوني تحترم الهُويات المتنوِّعة بدلاً من إلغائها.

وخلاصة القول: يرى (التريكي) أنَّ أزمة العالم اليوم ليست صراعًا بين حضارات، بل هي أزمة نظام عالمي يقوم على الهيمنة واللا عدالة، وأنَّ الحل يكمن في بناء عقلانية أكثر إنصافًا وتعدُّدية، ترتكز على الحوار والاعتراف المتبادل بين الثقافات.

الفصل الثاني: الهُويّة

يسـتعرض (د. التريكي) في هذا الفصل إشكالية الهُوية في الفكر المعاصر، مستعيدًا السؤال الفلسـفي الجوهري: «من نحـن؟»، وما هي المعايير التي تحدِّد انتماءنـا وتميُّزنا عن الآخر في عصر العَولمة والتسـارع التكنولوجي. وينطلق الكاتب من رؤية مفادها أنَّ الهُوية لم تعد حبيسة الحـدود الجغرافية أو القوالب الثقافية والدينية الجامدة، بل أضحت مفهومًا مركَّبًا يتشـكل من تداخـل التاريخ والحاضر والتطلُّعات المسـتقبلية. وفي هذا الصدد، يحـذِّر النصّ من مخاطر

اختزال الهُوية في أُطُـر ثقافية ضيقة، لما يترتَّب على ذلك من تعصُّب وانغلاق، وإقصاء للآخر، داعيًا إلى تبنِّي مقاربة أكثر انفتاحًا وتوازنًا تصون الخصوصية دون الانكفاء على الذات.

يتناول الكاتب -أيضًا- التوتُّر الفلسـفي الكامن في مفهوم الهُوية، لا سيِّما في علاقة «الذات» بـ «الآخر»؛ إذ إنَّ التمسُّـك المطلق بوحدة الهُوية قد يفضي إلى نفي الاختلاف. ومن هنا، يطرح تصوُّرًا بديلاً يقوم على المزاوجة بين الثبات والتحوُّل، أي بين الجذور التاريخية للهُوية وانفتاحها على متغيّرات العصر. ويسـتند في ذلك إلى مرجعيات فلسـفية، كأطروحـات (مارتن هايدغر-Martin Heidegger) و(بول ريكور-Paul Ricoeur)، التي تعتبر الهُوية سيرورة مستمرّة تتشكَّل عبر الذاكرة، وتجارب الحاضر، والمشاريع المستقبلية.

ويشدّد (التريكي) على أنَّ الهُوية الحقّة لا تستند إلى الذاكرة وحدها، بل تتجلَّى في المشاركة الفاعلة في الحياة والانفتاح على القِيم الكونية والمعارف الحديثة. فالفرد والمجتمع لا يتحدَّدان بانتمائهما الثقافي فحسب، بل بمدى مساهمتهما في التطوُّر العلمي والتقني، وانخراطهما في القِيم الإنسانية المشتركة؛ لتصبح الهُوية بذلك علاقة ديناميكية تجمع بين الخصوصية والانفتاح، وبين الأصالة والتجدُّد. ويخلـص إلى أنَّ الفهـم المعاصر للهُوية يسـتوجب تجاوز التمركز حول الـذات نحو تبنّي هُوية متعـدِّدة الأبعاد، وقادرة على التفاعل مع العَولمة دون الذوبـان في تيَّاراتها، وعلى مقاومة الهيمنة دون الانزلاق إلى العنف أو الإقصاء. وبذلك، تتحوَّل الهُوية إلى مفهوم استراتيجي يضمن التوازن بين صون الذات والانفتاح على الآخر، في إطار إنسـاني كوني قوامه الحوار، والتعدُّد، والاعتراف المتبادل.

الفصل الثالث: الحداثة وما بعد الحداثة

يسـتعرض (التريكي) هنا إشـكالية الحداثة وما بعد الحداثة عبر تحليـل تطوُّر الفكر الغربي وعلاقتـه بمفهومي التقدُّم والتحديث، مع تسـليط الضوء على موقع العـالم العربي ضمن هذا التحوُّل. وينطلق من فرضية أنَّ الحداثة تمثِّل في جوهرها تصوُّرًا تاريخيًّا تقدُّميًّا، تبلور مع فلسفة الأنوار التي ربطت ارتقاء البشرية بإعمال العقل، ونبذ الأحكام المسـبقة والسـلطات التقليدية، واعتبار التقدُّم الإنسـاني حصيلة للتراكم العلمي والمعرفي. ويوضِّـح ضمن النصّ أنَّ الحداثة

ارتبطت بمفهوم «العقل العلمي» القائم على المنطق والتجربة، لكنَّها تحوَّلت في الممارسة الواقعية إلى أداة للتنظيم والسيطرة الاجتماعية، ما أضفى على العقلانية أبعادًا مزدوجة بين بُعدها النظري باعتبارها أداة للمعرفة، وبُعدها التطبيقي باعتبارها وسيلة للهيمنة. ومن هذا المنطلق، يميِّز بين «العقل» بوصفه قاسمًا إنسانيًّا مشتركًا، وبين «مظاهر العقل» في السياقات الاجتماعية والسياسية؛ حيث تتنوع المعقولات بتنوّع البيئات دون أن يعني ذلك تعدُّد العقول في حدّ ذاتها. ويؤكِّد على أنَّ الحداثة ليست مشروعًا غربيًّا خالصًا، بل هي ثمرة تفاعل حضاري ممتدّ ساهمت فيه ثقافات عدة، بما في ذلك الحضارة العربية الإسلامية بإسهاماتها العلمية والفلسفية البارزة. وبناءً على ذلك، يدعو النصّ إلى تبنِّي الحداثة بوصفها جزءًا من الهُوية التاريخية المشتركة للإنسانية، لا عنصرًا دخيلًا أو منفصلًا عن التراث.

كما يقدِّم (التريكي) نقدًا لمفهوم «ما بعد الحداثة»، معتبرًا إيّاها ردّ فعل على أزمة فكرة التقدُّم، لكنَّها قد تنزلق إلى خطاب أيديولوجي يبرِّر الفوضى أو النزعة الاستهلاكية عوضًا عن تقديم بديل معرفي رصين. لذا، يرجّح النصّ استخدام مفهوم «التحديث» بدلًا من «ما بعد الحداثة»؛ لما يحمله من دلالة على التطوّر دون التضحية بكرامة الإنسان أو قِيمه الخُلُقية.

ويشير النصّ إلى أنَّ التحديث عملية تراكمية تشمل المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية، وتهدف إلى تطوير المجتمع مع الحفاظ على الإنسان بوصفه قيمة مركزية. ومع ذلك، يلفت النظر إلى أنَّ العالم العربي لا يزال يرزح تحت وطأة التوتُّر بين التراث والحداثة، ولم ينجح بعد في استيعاب العقل العلمي بشكل كامل، ما يجعل قضايا التقدُّم والتحديث تحدِّيًا جوهريًّا في واقعه الراهن.

ويخلص إلى أنَّ الحداثة تقوم على سيرورة عقلنة شاملة طالت السياسة والتاريخ والدين، وأنَّ التعامل معها يقتضي نهجًا نقديًّا وتفاعليًّا؛ حيث تُدرك باعتبارها مسارًا إنسانيًّا مشتركًا لا نموذجًا مفروضًا، مع ضرورة إعادة صياغة مفهوم، التحديث بما يضمن التوازن بين التطوّر العلمي والحفاظ على القِيم الإنسانية.

الفصل الرابع: العمولة ومعضلة الثقافة

تؤكِّد هذه المقاربة النقدية لفكرة الحداثة، كما يطرحها (هابرماس)، على ضرورة الحفاظ على

وحدة العقل في مواجهة الأطروحات التي تدعو إلى تفكيكه باسم التنوّع والاختلاف. فالعقل، في تصوره، لا يُفهم بوصفه هُوية واحدة مغلقة، بل يتجلَّى عبر معقولات متعدّدة داخل الثقافات المختلفة، دون أن يفقد طابعه الكوني. ومن هنا، فإنَّ ما يبدو اختلافًا في أشكال التفكير هو في حقيقته تنوّع في مظاهر العقل، تحكمه أرضية مشتركة تقوم على التواصل والتفاهم بين البشر، وهو ما يُسمِّيه النص بـ «التآنس»؛ أي العيش المشترك القائم على الاعتراف المتبادل والحُرِّية. فالعقل لا يتحقَّق عبر الإقصاء، بل عبر الاعتراف بالآخر بوصفه شريكًا في الوجود والتفكير، ما يجعل الحُرِّية شرطًا أساسًا لوحدة العقل؛ إذ من دونها يتحوَّل التعايش إلى صراع أو هيمنة. وفي هذا السياق، تُفهم الحُرِّية ليس فقط باعتبارها حقًّا فرديًّا في التعبير، بل مسؤولية فكرية وخُلُقية تفرض التروِّي في إصدار الأحكام وتحمُّل نتائجها. كما يربط النصّ بين نقد العنف في الفلسفة، وبين ضرورة بناء خطاب عقلاني يضمن السلم، مع الإشارة إلى أنَّ العنف قد يتَّخذ أشكالاً سياسية، أو فكرية، أو دَولية في ظلّ العولمة. لذلك، فإنَّ وحدة العقل لا تعني التجانس، بل تعني القدرة على إنتاج تواصل إنساني يوازن بين الاختلاف والاشتراك، ويؤسِّس لفضاء عالمي يقوم على الحُرية والتفاهم بدل الإقصاء والصراع.

يقدِّم النصّ نقدًا فلسفيًّا وسياسيًّا لمفهوم العنف وعلاقته بالفكر والعولمة، موضِّحًا أنَّ الفلسفة حاولت تاريخيًّا، منذ (أفلاطون)، إقصاء العنف عن مجال القول والتفكير، سعيًا لبناء خطاب عقلاني قائم على السلم والحوار. ومع ذلك، يرى النصّ أنَّ الفلسفة تظلّ عاجزة عن تقديم تفسير شامل للعنف، لا سيِّما في صورته المتجلِّية في الحروب والإرهاب؛ لارتباط هذه الظواهر بالسياقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية أكثر من ارتباطها بالتأمُّل الفلسفي المجرّد. وقد أسهمت العَولمة والنظام العالمي الجديد في إعادة إنتاج أشكال جديدة من العنف عبر التدخلات العسكرية، والحروب الاقتصادية، والحصار، ما جعل العنف أداة سياسية منظَّمة بيد الدول الكبرى. وبناءً على ذلك، لم يعد الإرهاب مقتصرًا على الأفراد والجماعات، بل ارتبط ببنى القوَّة الدَّولية التي تعيد تعريفه وفق مصالحها السياسية. كما يرى (التريكي) أنَّ التطوَّر التكنولوجي والاقتصادي، رغم دوره في توحيد العالم، قد عزَّز في الوقت ذاته أشكال الهيمنة والصراع، مؤكِّدًا على أنَّ استخدام مصطلح "الإرهاب" غالبًا ما يكون أيديولوجيًّا وانتقائيًّا؛ حيث يُوظَّف ضدّ

أطراف معيّنة، بينما يُغضّ الطرف عن ممارسات دول أخرى.

وفي هذا السياق، يدعو (التريكي) إلى إعادة التفكير في العلاقة بين العنف والعَولمة من منظار عقلاني وخُلُقي، يرتكز على العدالة والتعايش ونبذ الإقصاء، ومشدِّدًا على أنَّ مواجهة العنف لا تكون بمثله، بل ببناء وعي نقدي، وحوار إنساني يضمن الكرامة والمساواة بين الشعوب. من جانب آخر، يتناول النص إشكالية "وحدة العقل" في الفكر الحداثي، كما عند (هابرماس)؛ حيث يُفهم العقل بوصفه ممارسة تواصلية تقوم على الحوار والاعتراف المتبادل، لا جوهرًا كونيًّا ثابتًا. ويؤكِّد على أنَّ هذه الوحدة لا تنفي تعدّد الثقافات، بل تتحقَّق من خلال "التآنس" باعتباره عيشًا مشتركًا يقوم على الحرية والاعتراف بالآخر، ما يجعل الاختلاف الثقافي عنصرًا مكمِّلًا للعقلانية لا نقيضًا لها. وفي المقابل، ينتقد النصّ أطروحات ما بعد الحداثة التي تميل إلى تفكيك العقل إلى خصوصيات ثقافية منفصلة، كما يرفض تصوُّرات "صراع الحضارات" لـ (هنتنغتون) التي تختزل الثقافات في كتل متصارعة، وتتجاهل التداخل والتنوع الداخلي بينها.

ويخلص النص إلى أنَّ العَولمة، بوصفها نظامًا اقتصاديًا وثقافيًا مهيمنًا، ترتبط بأشكال جديدة من العنف والاستقطاب، ما يولِّد ردود فعل مقاومة. ويطرح "التثاقف" بديلًا إنسانيًّا ممكنًا؛ أي الحوار بين الثقافات القائم على الاعتراف المتبادل والتعدُّد، بما يحقِّق التوازن بين وحدة القِيم الإنسانية واحترام الاختلاف الثقافي، ويؤسِّس لتعايش قوامه الحرية والعقل والتواصل.

الفصل الخامس: العيش معًا

يستعرض هنا (التريكي) مفهوم «العيش معًا» لدى (أرسطو)، بوصفه الركيزة الأساس لقيام الدولة الفاضلة التي تنشد التآلف وتحقيق السعادة. ويوضِّح أنَّ الفلسفة منذ عهدي (سقراط) و(أرسطو) جعلت من الأخلاق محورًا جوهريًا لفهم السياسة والحياة المشتركة؛ حيث بات الهدف الأسمى هو تنظيم العلاقات الإنسانية استنادًا إلى العقل والفضيلة، بعيدًا عن منطق القوَّة. كما يتناول تطوُّر هذا التصور عند (الفارابي)، الذي ربط السعادة بـ «جودة التمييز»؛ أي توظيف العقل توظيفًا سليمًا للفرز بين الخير والشر، جاعلًا التعايش الإنساني قائمًا على التعقُّل والوسطية. ويؤكِّد النصّ على أنَّ التعايش يتَّخذ مسارين: إما أن يُبنى على الغلبة والعنف، أو على

المؤانسة والصداقة والمحبَّة، كما نجد عند (مسكويه) و(التوحيدي)؛ حيث تتحوَّل العلاقات الإنسانية إلى حالة من الأنس والتعاون بدلاً من الصراع. ويخلص (التريكي) إلى اقتراح مفهوم «التآنس» بديلاً إنسانيًّا للتعايش القائم على الهيمنة، وداعيًا إلى بناء علاقات بشرية ترتكز على المحبة والعقل والاحترام المتبادل، ما يمهِّد الطريق نحو إرساء قواعد سلم عالمي أكثر عدلاً وإنسانية.

القسم الثاني: التعقيبات

في البداية، يُعقّب (الدكتور عبد الوهاب المسيري) على بحث (الدكتور عبد الفتاح التريكي)، موضِّحًا أنَّ (التريكي) ينتقد مفهوم «العقل المحايد» الذي يطرحه بعض المفكِّرين بوصفه أساسًا للتحديث والتواصل الإنساني؛ حيث يرى (التريكي) أنَّ هذا التصوُّر يفترض وجود نواة منطقية مشتركة بين البشر، لكنَّها في جوهرها ليست محايدة؛ إذ تتشكَّل ضمن سياقات اجتماعية وتاريخية وثقافية محدَّدة، قد تُحوِّل العقل إلى أداة للهيمنة بدلاً من كونه وسيلة للتواصل. كما يتناول النصّ نقد العَولمة بوصفها مشروعًا يسعى لفرض نموذج أحادي للحياة والثقافة تحت ستار «الكونية»، ما يفضي إلى تهميش الهُويَّات الأخرى. وفي المقابل، يمُيِّز بين نوعين من العقل: «العقل الأداتي» الذي يركز على السيطرة والفعالية والتقنية، والذي قد يؤدِّي إلى استغلال الإنسان وتشييئه، و»العقل النقدي» الذي يتجاوز الواقع نحو فهم أعمق للإنسان والتاريخ والقيم، متطلِّعًا إلى التحرُّر والعدالة. ويخلص الطرح إلى أنَّ التحديث الحقيقي لا يستقيم بالاعتماد على العقل الأداتي وحده، بل يتطلَّب رؤية خُلُقية وإنسانية توازن بين العقل والقِيم، وتصون كرامة الإنسان وتعدُّدية الثقافات، بدلاً من إقصائها.

من ناحية ثانية، ينصبُّ تعقيب (الدكتور عبد الفتاح التريكي) على بحث (المسيري) على مناقشة أطروحته المتعلِّقة بهيمنة «العقل المادي» على الحضارة الغربية، وما يترتَّب على ذلك من عقلانية أداتية، وعَولمة تُهمّش الأبعاد القِيمية والإنسانية. وفي حين يُبدي الكاتب اتِّفاقًا جزئيًّا مع هذا الطرح، خاصَّة في نقده لتقنيات الحداثة وما بعد الحداثة التي غلّبت المنطق التقني والمادي على الجوانب الروحية والخُلُقية، وحوّلت الإنسان إلى كائن استهلاكي خاضع لمنطق المنفعة

والسلطة، فإنَّه ينتقد في المقابل النزعة التعميمية التي تختزل الحضارة الغربية في «مادِّية صلبة» أو «سائلة».

ويؤكِّد (التريـكي) أنَّ الواقع الغربي يتَّسـم بالتعقيد والتعدُّد، ويحتضن تيَّـارات فكرية وفنية وروحية ناقدة للذات. كما يُشكِّك في جدوى إرجاع التحوُّلات التاريخية كافَّة إلى نموذج مادِّي أحادي، مقترحًا بدلًا من ذلك رؤية أكثر توازنًا تُدرك التداخل الجدلي بين المادِّي والقِيمي، وتُبرز دور «العقل النقدي» في مواجهة العقل الأداتي، ما يتيح فهمًا أعمقَ للتاريخ الإنسـاني بعيدًا عن أي اختزال أيديولوجي.